

REHAM AHMED
01000670696

قصة

تريد الحياة

«من مجهولة»

نظمها الزينية

«المقدمة»

أظن أن ليس ضروريًا أن تعرف من أنا، فأنا واحدة
مُتخبطة في مشاعرها، مُشتتة معنويًا، لا تعرف هل هي
على صراط مُستقيم أم في طريق ضال، أنا مثل فتاة
صغيرة تائهة في دروب حالكة شديدة الظلام ليس لديها
اتجاهات مُعينة لتخرج من أزمتها، ستدخل عالم مليء
بالأسئلة والفلسفة المُعقدة، ستطوف حولك أفكار عقلي
المُزعجة، لكن لا بأس عزيزي! فبعض من المغامرة
تُضيف نكهة من التشويق..
أهلاً بك في عالم فتاة «تريد الحياة».
إهداء:

أهدي هذه القصة للذين يعتقدون أنهم مُعتنقين دين
ضعيف لم يؤمنوا به فعليًا، إلى الذين على غير أديان
ولم يؤمنوا بوجود إله.

شُكر خاص:

_ أقدم شُكر إلى شخص كَوّن لديّ روح النقد والحديث
وكسب الحوار لصالحي فهو كان من أحد الأسباب لبناء
شخصية قوية تقدر على التساؤل والبحث العميق وهو
الذي ساعد على بناء فكرة هذه القصة...
إلى أ/ جهاد الهندي «الأستاذ الأول والأخير للمواد
الفلسفية».

__ أعتقد أنني على وشك دخول في حوار مُثير ذات أهمية قُصوى، أنت الآن عزيزي لا تُصدقني ولا حتى تُصدق حديث غيري، لماذا؟.. سأجيب أنا لأنك هسُّ ضعيف لست جريئاً لتبحث بنفسك، ولذلك سأبحث أنا و سأثبت لك أنني على صواب.

تحدثت أمامه بثقة تامة وعلى ثغري ابتسامة مستفزة تستهزأ به، غضب بشدة وزمجر في وجهي قائلاً:

__ وهل أنتِ التي ستقول للعالم بأكمله حديثك هذا؟!، أعتقد أنك ستعرضي للهجوم الشرس العنيف وأنتِ فتاة، القصد أنكِ لم تقدرى على إقناعي وإقناع غيري، والآن تفضلي فأنا لا أتحمل فتاة مثلك، وآه لو قمتِ بتكرار ذلك الحوار سأقوم بفصلك من هنا.

رمقته بسخط شديد وأبعدت عيناى عنه مُتعمدة إهاتته
بنظراتى؁ استدرت راحة من مكتبه وأنا أفكر بكيف
على حل هذه المشكلة -بالنسبة لى- فهى مشكلة كبرىة
للغاية إنما ذك المدير الغبى لم يقتنع ولم يراها مشكلة
من الأصل!

أظن أنني الآن عليّ أن أبحث بنفسني عن تلك المعلومات المثيرة للتفكير، بعد عودتي للمنزل من العمل الشاق هذا جلست أمام الحاسوب الخاص بي وقُمت بالنقر على لوحة المفاتيح بسرعة وأكتب السؤال الذي رأيته من أحد الجماهير، نعم فأنا كاتبة صحفية تكتب مقالات لعرض مشاكل اجتماعية فصادفني أمس سؤال لفتاة تقول: "أواجه مشكلة وأريد حلها بسرعة، بعض الناس قالت لي عندما أقع بمأزق أدعو الله ليستجيب لي لكن أنا أدعو بالحاح شديد لمدة خمسة أشهر وليس هناك استجابة فايقت تمامًا بأن لا يوجد إله يستجيب الدعوات"، حينها فقط أذهلتني تلك الفتاة الغبية فكيف لها أن تقول ذلك؟، ألم تعرف أن الله قال في كتابه: [وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ]؟، وأنه أقرب إلينا من حبل الوريد؟.

كتبت في مُحرك البحث «كيف يَسْتَجِيبُ اللهُ الدَّعَوَاتِ»
وشاهدت عدة آيات وأحاديث شريفة فابتسمت برضا
تام و قررت في كتابة مقال يَهجم تلك الفتاة الغبية ولم
أكثرث للمدير الذي وافقها الرأي، فتحت ملف فارغ
وبدأت بكتابة مُقدمة وقبل ذلك عنوان رئيسي «الله
يَسْتَجِيبُ»، انسجمت في المقال وكتبت آيات قرآنية
بشرحها و ختمت بحديث نبوي شريف:

[لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع باثم، أو قطيعة رحم،
ما لم يستعجل] قيل: يا رسول الله ما الاستعجال؟ قال:
[يقول قد دعوت، وقد دعوت فلم أرَ يستجيب لي،
فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء]، وأحب أختم مقالِي
هذا بأن الله يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ ولو كنت تشك في ذلك
فأنت ضعيف دينياً ومعنوياً.

أنهيت كل شيء وأرسلت المقال للطباعة الأمر سيأخذ
ساعة على الأقل، ابتسمت بثقة وزهو شديد ثم قلت
بتعالي:

والآن جاهزة للهجوم من المدير الغبي المُتغطرس.

قُمت من جلستي وذهبت للمطبخ عند أُمي الحبيبة،
ناديت لها بصوت رنان فأجابتي قائلة:

_ تعالي حبيبي حضرت لكِ الطعام.

ركضت لها وجلست أمام طاولة الطعام ونظرت لأُمي
التي قالت لي بابتسامة حنونة:

_ تناولي طعامك سريعًا، وبعد رُبْع ساعة من الآن
سيؤذن المغرب هيّا بسرعة.

أومأت لها بطاعة وتناولت الطعام بسرعة وساعدت
أُمي في جلي الصحون ثم توضأت لأصلي الفرض.

عندما أتت الساعة الثانية عشر مُنتصف الليل ابتسمت
بسخرية شديدة فهذه الساعة بالتحديد يبدأ عقلي
بالأسئلة التي ليس لها إجابات بالأخص الأسئلة التي
تتعلق بالدين، أحمد لله دائماً أنني مؤمنة بوجود إله
لكن عقلي لا يتوقف أبداً عن الأسئلة المُشتتة وكأن
الشیطان مُصر أن يوسوس لي ويُربكني، ها نحن إذن
أمام دفتر الأسئلة على مكتبي أرمقه بتفكير فكان آخر
سؤال كتبته: «كيف الدين من دون الفلسفة لم
يظهر للعالم؟»، أظن أن هناك إجابة نموذجية.
بدأت في البحث العميق و تدوين الملاحظات الهامة
التي تتعلق بالموضوع، صادفني أمام عيناى إجابة
راضية تقول:

_ بين الفلسفة والدين علاقة تكاملية بحتة فالدين
مصدره إلهي علوي يقوم على المصادقية لكن هناك
بعض الأمور تتعلق بالعقل البشري الذي يتطلب من
الإنسان البحث والتفسير والتساؤل.

ابتسمت بشدة على ذلك الاستنتاج المرضي لي، يبقى فقط بعض من الآيات التي تقول ذلك، قال تعالى: [كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ]، معنى الآية أن يجب علينا التدبر والتأمل العميق حتى نخرج باستنتاج مناسب لنا ونتقرب من الله -سبحانه وتعالى- أكثر.

زفرت بتعب شديد و وقفت على أقدامي التي تؤلمني من جهد اليوم ثم التفت نحو الفراش لأذهب في غفلة خفيفة قبل الفجر.

_ ما هذا الهراء التي كتبتك تلك الغبية؟! ارتبك الموظف بشدة الذي هاتفه مسرعاً كي يقول له عن المقال، أجابه بصوت مهزوز:

_ سيد حُسام أنا لا أعرف أي شيء غير ذلك المقال أمامي وهو ينص على مهاجمة الفتاة المشهورة، أنت تعلم أن ذلك المقال لو نُشر وقرأته الفتاة لا شك بأننا سوف نندمر جميعاً بأموالها وشهرتها الواسعة.

زفر "حُسام" بغضب شديد وأغلق الهاتف دون أن
ينبس بكلمة، فتح الحاسوب الخاص به ودخل على
صفحة تلك التي ينعتها بـ "الغبية"، رأى المنشور
الخاص بها فهي أرسلت المقال للطباعة لكي تضمن
بأن يتم نشر المقال استغلت صيتها الواسع أمام
جمهورها وشعبيتها، قرأت التعليقات كلها ولم يرى أحد
يُخالفها الرأي حتى ولو بنسبة واحد بالمئة.
ألقي الحاسوب بعيداً ثم أخذ هاتفه حتى يُهاتف العميل
المسؤول عن الطباعة، صرخ به يُعنفه:
_ المقال الذي أتاك قبل ساعات من تلك الغبية أحذفه
فوراً!

هو يعلم تمام العلم أن لم يجدي شيئاً بنشر المقال أو
حذفه فالجميع قرأه لأن معظم المتابعين للجريدة عندها.

عندما استيقظت قبل الفجر بدقائق وصلتني رسالة من
مدير عملي يقول لي:
_ سيكون آخر تحذير لك.

وأنا على تمام علمي بمضمون الرسالة فابتسمت بتهكم
وأنا أقول بعدم اكتراث:

_ شخص حقير يُحب الدنيا ولا يفقه شيء عن الآخرة،
هداك الله.

سمعت صوت الأذان يصدح في كل مكان بصوت شجيّ
عذب، يُشرح الصدور والقلوب المُحطمة فمن غير الله
يكون الصاحب والأنيس لنا؟.

قُمت من الفراش بحماس شديد ثم ذهبت إلى المرحاض
أقضي حاجتي، خرجت وارتديت ثوب الصلاة وأديت
السنة يليها الفرض بخشوع و برحابة صدر، أظن أن
الذي لم يُصلي الفجر سيلقى بمتاعب في الدنيا لم يشعر
الراحة والاسترخاء أكثر، لم يشعر أيضاً أن الدنيا فانية
ليس لها معنى نكثرت لها من الأصل.

عندما انتهيت من روتيني اليومي من ترديد الأذكار
وقراءة الورد اليومي، زفرت براحة شديدة و أخذت
أدعو كثيرًا والدموع تسيل من عياني فعقلي أدهشني
بسؤال غريب و سوف أبحث بنفسي بإذن المولى أتمنى
أن ذلك السؤال يوضح لي كل شيء، أعلم أن الله عليم
بذات الصدور ف بالتأكيد هو أعلم بحالي و مجازفتي.
جلست أمام المكتب و قُمت بتدوين سؤالي الجديد ألا
وهو «هل حُب الدنيا حرام؟» سؤالي ذلك لم أقصد به
أن أعيش للدنيا إنما ذلك السؤال هدفه هل نحب الدنيا
لكي نفعل ما يحلو لنا من صدقات و ترك الأثر الطيب
في نفوس المحبين قبل الهلاك، أعرف أشخاص كثيرة
عاشت و ماتت دون علم أحد، ذلك السؤال يحق البحث
بعمق مثل كل مرة، بعد أن انتهى من الصراع مع
المدير المتغطرس سأبحث عن ذلك السؤال.

وصلت لمقر العمل و يعلو وجهي ابتسامة مستفزة كي
أثير غضب المدير فكم أنا استمتع بذلك!، كتمت ضحكة
صاخبة كانت على وشك الخروج من جوفي و أخذت
نفس عميق، وقفت أمام باب مكتب المدير ثم طرقته
بحماس للمشاجرة التي سوف تحدث الآن، عندما
سمعت إذن دخولي فتحت الباب فوراً، سمعته يصرخ
بي قائلاً:

__ لقد شرفت المصون التي سوف تُضيع الجريدة
بأكملها.

لم أنظر له بل تجاهلته تمامًا بينما هو احتقن وجهه
بشدة وأردف بغضب جامح:

__ أنظري لي وأنا أحدثك!، أنت هنا صحفية تابعة لـ
جريدتنا ولك مدير تنفيذي يأمرك، هذه الجريدة لديها
نظام وحدود عليك الالتزام بها وإلا...

__ وإلا ماذا سيدي المدير العزيز؟!، دَعَكَ أَنَا سَأَقُول
أمامم تطردني من الجريدة؟ سيكون هذا جيد جدًا
بالنسبة لي عرض سَخِي حَقًّا، من السهل عليّ أن
أذهب لجريدة أخرى أو أفتح جريدة خاصة بي أفعل بها
ما يحلو لي لكن أنا هنا لكي أقدم خدمة بسيطة لديك إلا
وهي إصلاح عقلك الغبي.

ازداد غضبه بشدة وكاد أن يكمل صِراخه المزعج،
قاطعته قائلة بصوت قوي زَلْزَل كِيَانَهُ:

__ ليس هناك داعي لصراخك الممل هذا، نعم عقلك غبي
لدرجة بَحْتة، هل لديك إجابة منطقية لعدم وجود إله؟؟؟،
لماذا تدعم تلك الفكرة و تُشجع الناس عليها ليرتدوا
عن دينهم؟، هل هدف الجريدة هذه هو الكُفر والإلحاد؟
لاحظت أنه يبتلع ريقه و رَدَّ بارتباك شديد:

__ وما دليلك على أن هناك إله يرانا و يُحاسبنا كما
قُلْتِي!

اقتربت منه عدة خطوات بثقة وأنا أجيب:

قال سبحانه و تعالى في سورة الطور [أَمْ خُلِقُوا مِنْ
غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خُلِقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
بَلْ لَا يُوقِنُونَ]، أي أنتم موجودون لا أحد ينكر ذلك لكن
تتساءل من خلق هذا الكون، السماء، الأرض، البحر،
الحيوانات، المحيطات، الأنهار، الجبال، مَنْ خلقهم؟؟،
هل كل ذلك أتى بالصدفة! هل تُصدق نفسك حقاً!!
صمت ولم يقدر على الإجابة شعرت بالنصر، استدرت
راحلة من أمامه و زفرت بتعب شديد بعد تلك المُشادة
الكلامية، بالتأكيد سيُغير طريقة تفكيره فيما بعد أدعو
الله بذلك.

بعد ما أن وصلت إلى منزلي جلست أمام الحاسوب،
ضربت بلوحة المفاتيح بلهفة شديدة لكي أشبع رغبتني
في أسئلتني المُلحة، أبحث تارة و أدون تارة أخرى،
زمنت شفطاي وأنا أرى تلك الاستنتاجات الفلسفية التي
كنت أبحث عنها منذ ساعتين فأنا قُمت بتلخيص
الاستنتاجات في هيئة نقاط يبدو أنها إجابة منطقية..

_ أول نقطة «لايشترط للمرء أن يحب الدنيا» وضعت بجانبه سؤال «لماذا؟» و تركته وقمت بتسجيل النقطة التي تليها.

_ ثاني نقطة « الدنيا مليئة بالصعاب والطرقات الوعرة فمن ذا الذي يحبها؟»

_ ثالث نقطة «أن تحب الدنيا لتفعل بها السلوك الحسن والأعمال الصالحة وغيرها»، صادفني أيضًا حديث شريف رواه صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: [إن الدنيا حُلوة خُضرة، وإن الله تعالى مُستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء]

حينها فسرت ذلك الحديث بعقلي، أن الدنيا فيها من
المُغريات الكثير وأن الإنسان خليفة فيها يجب عليه أن
يحفظها وأن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يرى ماذا يفعل
عباده في الأرض، الآن يجب أن أجيب على أول سؤال
أن لا يشترط للمرء أن يُحب الدنيا، هناك تفسير واحد
وأظن أنه صحيح، الدنيا هذه مَلِيئة بالعثرات والمشقات
والإنسان الذي يَقْبَعُ بِهَا إما أن يُجَازِفُ وَيَتَحَدَى
الصِّعَابَ أَوْ يَجْلِسُ وَ يَنْظُرُ لِحَيَاتِهِ الْفَارِغَةَ أَمَامَهُ، فَهُنَا
سَوْفَ أُقَسِّمُ النَّاسَ لِسَهْمَيْنِ أَوَّلُ سَهْمِ الشَّخْصِ
الْمُجَازِفِ فِيهَا عَلَى مَا أَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَكْرَهُ الْحَيَاةَ وَ يُدْرِكُ
أَنَّهَا فَانِيَةٌ، السَّهْمُ الثَّانِي الشَّخْصِ الْكَسُولِ هَذَا بِالْتَحْدِيدِ
سَيُحِبُّ الدُّنْيَا وَلَمْ يُؤْمِنْ بِأَنَّ هُنَاكَ آخِرَةَ وَحَيَاةَ الْبَرَزَخِ
«ما بعد الموت».

في الحقيقة أن الحياة هي محطة فاصلة تأخذ فقط بضع سنين، يُمكن أن الموت يكون في سن الثلاثين أو الأربعين و يُمكن أصغر من ذلك، والميت هنا سيعيش حياة أطول بكثير إلى عدد سنوات لم يتخيلها أحد يُمكن أن تصل إلى ألفين عام وهو في القبر!، الموت يأتي بَغْتة لم يَعْرِف أحد متى أو كيف قال تعالى في سورة ق: [وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ]، ذلك ما كنت منه تحيد أي هذا هو الذي كنت تفرُّ منه وتُهابه، الموت ليس له وقت مُحدد ليأتي للمرء، فكيف لهم أن لا يؤمنوا باليوم الآخر؟؟ وبعد بحث عميق ابتسمت بوسع ثم خلدت على فراشي و عقلي يُفكر بـ «هل الله يتقبل صلاتي؟، هل أنني على صراطٍ مستقيم؟»، إن كان لديّ عُمر للغد سأبحث إن شاء الله.

عندما استيقظت صباحًا ذهبت لعملي في الموعد المعتاد، فكرت بأن أمر على مكتب المدير، استحسنت الفكرة فغيرت طريقي مُتجهة لمكتبه، طرقت الباب بهدوء وسمعت إذن الدخول، مرقت للغرفة و رَمقت المدير بابتسامة هادئة، اندهشت عندما بادلني الابتسامة، ماذا؟!، هل هذه من الأحلام العصر كما يقولوا؟!، المدير يبتسم لي؟!، سمعته يتحنح بخرج قائلاً:

_ فكرت بحديثك أمس، أممم بالفعل معك حق و راجعت طريقة تفكيري، أتمنى من الله أن يغفر لي، بالمناسبة طلبت من الموظفين إلغاء كافة المقالات التي تضطهد الدين الإسلامي، شكرًا لك.

ابتسمت بوسع وسعادة شديدة، تنهدت براحة قائلة:
_ رائع بحق! سعيدة للغاية بأنك فهمت وجهة نظري أخيرًا، أنا هدفي من العمل هنا توجيهكم لطريق الحق على قدر إمكانياتي.

استأذنت منه للخروج كي أكمل عملي سريعًا، شعرت
بالفخر بنفسي وبأن قلبي يرقص طربًا، إحساس أنك
كنت المصدر الرئيسي لهداية أو تعطي نصيحة لشخص
يشعرنى بأني فتاة ناضجة، فكرها يسع في الأفق و
يُحلق مثل الفراشات.

و كعادتي جلست أمام الحاسوب في عُرفتي، أدون
النقاط الهامة التي تلزمني، في الحقيقة لولا تلك
البحوث التي أفلها لَصِرْتُ مِثْل التائهة وضعيفة في
دينها، لا تعرف الكثير عن الله، الأمر سيكون مُجَل
للـبعض حقًا!.

تابعت تسجيلات فيديو لبعض الشيوخ حول موضوع
«هل الله يتقبل صلاتي و يغفر ذنوبي؟»، بعد بحث كثير
استمر لمدة ثلاثة ساعات متواصلة، زفرت بتعب شديد
وألقيت نظرة شاملة على الدفتر الصغير، فقد دَوَّنت
الإجابات والإستنتاجات فكان منهم:

_ على المُذنب أن يتوب ولو عاد لذنبه يتوب مرة أخرى بشكل أعمق و هكذا كلما تكرر الذنب يتوب عنه فقد قال الله تعالى في سورة ص: [نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ]، كلمة أَوَّاب تعني الراجع إلى الله و يترك المعاصي و يندم عن الذنوب و يفعل الأعمال الصالحة ليغفر الله له.

_ للصلاة شروط و قوانين يجب على العبد أن يفعلها و للصلاة أهمية في حياة المرء، فالصلاة عماد الدين و التقرب إلى الله تعالى، الصلاة هي وسيلة التقرب للإله يبث العبد بمكنونات صدره، يجهد و يظهر ضعفه له. الله يغفر الذنوب و رحيم بعباده، فكرة التقرب إلى الله و يعتبره المرء صاحبًا له، هذا كفيلاً بأن يشعر بالسكينة و الطمأنينة، الراحة و الإطمئنان ليس مع البشر بل مع الله.

_ فلسفة الدين ضلع أساسي لنمو فكر العبد، يجذبه للتدبر و التأمل و التعمق في ماهية الأشياء حوله، وأيضًا هي وسيلة لتعريف الإنسان أنه على صواب أم لا.

الآن فقط علمت أنني أريد الحياة لأفعل من الأعمال
الصالحة الكثير، لأكون علاقات قائمة على الإحترام
والرقي و تتسابق لفعل الطاعات و نتقرب إلى الله في
أوقات الضعف، أريد الحياة حتى أمحي الذنوب
والمعاصي، حتى أدعو الله كثيراً بحسن خاتمتي، حتى
أترك أثر طيب في نفوس البشر، نعم لا أريد من الحياة
أكثر من ذلك.

«تمت بحمد الله»

